3

والله زمان يا سلاحي

obeikandl.com

obeikandl.com

سألت الدكتور: خالد جمال عبد الناصر.. ما هي حقيقة علاقة بيت، وعائلة عبد الناصر بأم كلثوم؟

أجاب خالد وكنت في لقائي معه بمنزله بضاحية مصر الجديدة:

أم كلثوم منذ كنت في الخامسة من عمري تقريبًا، كانت تأتي دائمًا إلى منزلنا، وتحرص على حضور عيد ميلادي، وعيد ميلاد باقي إخوتي.. كانت صداقتها قوية بالوالدة.. وكان الوالد دائمًا مشغولًا، وبالتالي كانت مقابلاته لها حين تأتي إلى البيت في منشية البكري قليلة، هذا رغم حبه الشديد لصوتها، وتقديره واحترامه لشخصها، وسوف أذكر شيئًا أقوله لأول مرة.. وهو أنها كانت موجودة في منزلنا للمشاركة في احتفال عيد ميلاد شقيقي عبد الحميد في عام ١٩٥٦م، وتلقي عبد الناصر أثناء ذلك خبر بدء العدوان الثلاثي على مصر، وترك الاحتفال وخرج.

يضيف خالد: «كان للوالد طقوسًا خاصة كل صباح.. أهمها سماعه لإسطواناتها حين يقف أمام المرآة لحلاقة ذقنه.. كان يدندن بصوته بالأغنية التي يسمعها عبر الأسطوانة، ويتصور مثلا أننا لا نسمعه، بينما كنا جميعًا ننصت إليه.. ونتبادل الضحكات.. خاصة حين يندمج في مقطع معين من الأغنية.. كان حريصًا على دوام الحضور لحفلاتها.. إنها العلاقة الخاصة، والتزاور كان يتم باستمرار مع الوالدة، تحية كاظم».

كان خبر العدوان الثلاثي الذي تلقاه جمال عبد الناصر أثناء الاحتفال بعيد ميلاد ابنه عبد الحميد، وبحضور أم كلثوم.. هو تتويج لأربع سنوات حاسمة مضت في عمر ثورة يوليو.. كان العالم الخارجي يترقب خطوات القادة الجدد.. والقادة من جانبهم يحاولون تثبيت الخطي.. كان كل شيء يبشر بأن هناك شيئًا جديدًا.. شيئا ليس كما سبق..

علي الصعيد الداخلي بدأت الملامح الاجتماعية لمشروع الثورة بإلغاء الألقاب

وإصدار قانون الإصلاح الزراعي، وتحديد ساعات العمل، وتشكيل هيكل إنتاجية متعددة..كان هذا يتم بسواعد شابة فتية.. على الصعيد الديمقراطي كانت الرؤي موزعة بين عودة الجيش إلى ثكناته، واستدعاء الأحزاب السياسية القديمة للممارسة دورها، وبين ضرورة استمرار الضباط في مسيرتهم، وكاد الخلاف حول ذلك أن يقضي على الحدث الذي تفجر يوم ٢٣ يوليو، وتم حسمه فيما عرف بأزمة مارس ١٩٥٤م.. أما دعائم الاستقلال الوطني فكانت خطوته الأولي خروج الإنجليز من مصر.. كانت المفاوضات تتم حول هذا بينما الأعمال الفدائية تشتغل ضد المعسكرات الإنجليزية على خط القناة.. وعلي صعيد الفن.. بدأت الأغنية في العثور على مسارها الوطني.. المسار الذي يعني ارتباطها بمعارك الوطن.

أدارت الثورة هذه المعركة بمنحي استقلالي، أكد منذ البداية الحساسية المفرطة ضد أي تدخلات خارجية.. وكان مشروع بناء السد العالي هو النقطة الحاسمة في مشروع الثورة، وما أعقبه بتأميم القناة فالعدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م.

في فرنسا يوم ٢٢ أكتوبر تم الاتفاق بين فرنسا وبريطانيا وإسرائيل على توزيع الأدوار في العدوان على مصر، وذلك في اتفاق مكتوب عرف باتفاقية «سيفر».

ويقول محمد حسنين هيكل: «في ٢٩ أكتوبر تلقي جمال عبد الناصر وهو في بيته حيث كان يشارك في احتفال عيد ميلاد ابنه عبد الحميد أول أنباء العدوان بالهجوم الإسرائيلي على سيناء.. وفي مساء يوم ٣٠ أكتوبر طلب جمال عبد الناصر » إعداد حقيبة له، وذهب إلى مقر مجلس قيادة الثورة في «الجزيرة» ليعمل ويعيش فيها، وكانت وجهة نظره أن جميع المحاربين الآن بعيدون عن أسرهم وهو واحد منهم، ومن ناحية أخري لم يكن يريد أن يكون في هذه اللحظات مع زوجته وأبناءه، وأن تتأثر قراراته ولو من بعيد بأية مشاعر قرب عائلي بما يحمله من عواطف وانفعالات».

وعلي الرغم من إعداد عبد الناصر لحقيبته والذهاب إلى مقر مجلس الثورة بعيدًا عن انفعالات الأسرة، وأسوة بباقي جميع المحاربين، إلا أنه وبعد سنوات من هذا الحدث، حاول البعض الاصطياد في «الماء العكر» والقصد بـ «الماء العكر» هنا هو الحملة المغرضة على جمال عبد الناصر، حيث قال البعض:« أن أم كلثوم خبأت أبناء عبد الناصر في منزلها بالزمالك أثناء الأزمة»،وذهب هؤلاء باستخفاف وسطحية إلى أن هذا كان نوعًا من اختبار أم كلثوم من زاوية الولاء للعهد الجديد!

ويكشف د. خالد عبد الناصر أصل هذه الواقعة قائلًا: لا.. لا.. لم نذهب إلى بيت أم كلثوم بقصد العيش فيه طوال فترة أزمة ٥٦..والحكاية بالضبط أننا كنا متواجدين أنا وباقي إخوتي لدي خالتنا في الزمالك وحين علمت أم كلثوم وكانت جارة لخالتي.. حضرت إلينا، وطلبت منا أن نذهب معها كنوع من الزيارة إلى منزلها، وأتذكر ما قالته لخالتي بالضبط: «هاتوا الأولاد يلعبوا عندنا شوية»..كما أذكر أنني سألتها بتلقائية الطفولة: «عندك طبلة وعود نلعب بهم» فأجابت: «آه يا حبيبي عندي كل حاجة تحبوها.. وإن ما كانش موجود أجيبها لكم»، وبالفعل ذهبنا معها إلى منزلها، وقضينا، ما يقرب من ساعتين نلعب على العود والطبلة ثم عدنا إلى منزل الخالة. وبعد ذلك كانت تمر يوميًا على بيت خالتي للاطمئنان أو تتصل تليفونيًا وتلك هي القصة بالضبط».

تلقت مصر الإنذار البريطاني ـ الفرنسي ، ومنذ اللحظة التي بدأ فيها القصف الجوي.. كما يقول هيكل: «بدأت أعصاب بعض القيادات تتوتر.. وتعالت صيحات تطالب بالقتال إلى آخر طلقة، وإلى آخر رجل ـ كان رأي «جمال عبد الناصر»، أن أخطر المشاعر التي يجب أن تقاومها في هذا الساعة هو « الانفعال»، وأن الأمة لا تحتاج الآن إلى شهداء قدر حاجتها إلى أبطال، وأن فهمه للتاريخ قد علمه أن الأمم لا تستشهد، وإنما يمكن أن يستشهد بعض الأفراد منها. أما الأمة،

فإن عليها أن تقاتل، وأن توفر لنفسها أكبر ضمانات ممكنة لتحقيق النصر، ولهذا فإنه لا يريد من حوله عصبية تؤدي إلى ضياع القدرة على التفكير المتزن.

في يوم الجمعة أول نوفمبر ذهب جمال عبد الناصر في سيارة جيب مكشوفة لأداء صلاة الجمعة وسط الناس، ووقف على منبر الأزهر مشحونا بكل تراث الوطنية المصرية وبعمق إرادة التحدي حين تأتي في لحظة لا يمكن الفكاك من التعامل معها بمسئولية.. خطب على المنبر قائلا:

«إننا جميعًا سوف نقاتل، ولن نستسلم وسوف أقاتل معكم إلى آخر قطرة من دمي، وسوف يقاتل كل الشعب الذي أصبح السلاح في يده جنبًا إلى جنب مع الجيش»، ولما خرج من الأزهر، تدفقت القاهرة كلها إلى طريق موكبه في صيحة واحدة مدوية «حنحارب.. حنحارب».

كانت الأحداث متسارعة، وشحذ الهمم يتم على قدم وساق وعبد الناصر يوجه ببراعة بوصلته إلى الجماهير حتى تكون طرفًا أصيلًا في قضيتها، ووجد الفن نفسه في محطة الأحداث ويصفها الموسيقار كمال الطويل بقوله: «كانت الأحداث تمر كالحلم، وشعرنا جميعًا أنها معاركنا، وأن الرجل الذي يقودنا هو من لحمنا ودمنا، ولهذا بحثنا جميعًا عن بعض، عبد الحليم حافظ، محمد الموجي، صلاح جاهين، أحمد شفيق كامل، أم كلثوم، الكل جاء إلى الميدان دون توجيه من أحد، بدأت الأغنية تأخذ طريقًا آخر جديدًا بمعني تشكيل تيار غنائي يلتحم مع معارك الوطن».

كانت أم كلثوم واحدة من كتيبة الأبطال الذي احتاجهم عبد الناصر في هذه اللحظات وكان قد سبق لها حتى عام ١٩٥٦، أن قدمت أغاني وطنية مواكبة لأحداث الثورة مثل قصيدة «صوت الوطن» وغنوة «الجلاء» مع محمد الموجي عام ١٩٥٤، غير أن انفعالها بالعدوان الثلاثي ولد نشيدًا وطينًا رائعًا هو «والله زمان يا سلاحي» أشعار صلاح جاهين وألحان كمال الطويل، واتخذته مصر سلامًا وطنيا

حتى توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨.

يظل هذا النشيد علامة فارقة في تاريخ الغناء الوطني عامة، وأم كلثوم خاصة، بالإضافة إلى أن قصة ولادته، والظروف التي مر بها علامة مضيئة في كيفية التعاطي الشخصي من أم كلثوم لقضايا الوطن.

يحكي كمال الطويل قصة هذه الساعات العصيبة التي اقترب فيها من أم كلثوم قائلاً : «كان العدوان الثلاثي يواصل هجماته البربرية على مصر، والنار تشتعل بداخلي. كنت في حيرة ماذا أعمل في هذه الظروف العصيبة، أخي في الجبهة يحارب. وأنا أجلس في المنزل اتصلت بصلاح جاهين الذي أعتبره «جبرتي الثورة».. قلت لصلاح: «أنا في دماغي مزيكة هأقولك شكلها» كان شكل المزيكة هو مقدمة «والله زمان يا سلاحي» رد صلاح: «اقفل التليفون يا كمال».. وبعد فترة قليلة اتصل بي ليقول لي اسمع: «والله زمان يا سلاحي / اشتقت لك في كفاحي».

يضيف الطويل :اتصلت بي أم كلثوم في نفس الوقت ،وكانت على نفس حالتي، سألتني: ماذا تفعل؟، قرأت لها كلمات جاهين، فطلبت مني الذهاب إلى منزلها فورًا، وهناك وجدت عازف الكمان أحمد الحفناوي،وعازف القانون عبده صالح،وعازف الإيقاع إبراهيم عفيفي.. كانت على أتم الاستعداد في كل شئ،فرقتها موجودة ولياقتها الحماسية في قمتها، والحالة العامة للبلد تضفي علينا جميعًا هذا الحماس، وأذكر وقتها أن صفارات الإنذار انطلقت تنذر بغارة جوية، وجلسنا جميعًا على ضوء الشموع بينما الغارة الجوية مستمرة. خرجت أم كلثوم فجأة من الصالون إلى « البلكونة ».. قمت وراءها مسرعًا.. قلت لها: «ادخلي بدل ما شظية تصيبك»، فردت بتأثر وحماس: «شظية إيه يا كمال.. أنا نفسي أمسك طيارة أفعصها بصوابعي!».

بهذه الحالة أقدمت أم كلثوم على اللحن وغنته.. يقول الطويل: غنت أم كلثوم «والله زمان يا سلاحي»، بإحساس فاق تخيلي، وبعد الانتهاء من إعداد اللحن طلبنا

التسجيل في الإذاعة فنصحونا بالتسجيل في استديو مصر خوفًا من ضرب الإذاعة، لأنها في العادة تكون هدفًا أوقات الحروب، كما أن شهية الأعداء قد تزداد لضربها، في حالة معرفتهم أن أم كلثوم متواجدة فيها.. لكن أم كلثوم رفضت النصيحة وقالت في حسم: «أموت في الإذاعة أحسن ما يقول حد أن أم كلثوم هربت».

يضيف الطويل: كان اللحن نوعية جديدة أقدمها كملحن شاب، والسبب أنني تخيلت أم كلثوم وهي تعبر عن الجندي المصري، والمفروض أن الإيقاع المناسب لذلك هو إيقاع ٢/ ٤/ المعبر عن الحماس، والتوهج في نقل خطوات الجنود، غير أنني وضعت اللحن بإيقاع ثلاثي.. لدرجة أخافت أم كلثوم في البداية.

سألتني: أنا أعرف أقول ده يا كمال؟

قلت لها: تقولي طبعًا.

وبعد انتهاء التسجيل لا أنسى تعليقها: «أنت أرهقتني قوي يا كمال».

يضيف الطويل:

بعد العدوان الثلاثي تصادف أن أعلنت الحكومة عن مسابقة لوضع نشيد وطني، فتقدم ٦٧ متسابقًا، ولم أتقدم أنا للمسابقة وبالرغم من ذلك، أخبرني الكاتب الصحفي محمد حسنين هيكل باختيار «والله زمان يا سلاحي» سلامًا وطنيًا، واستمر كذلك حتى توقيع اتفاق كامب ديفيد، وتم تغييره بناء على طلب من مناحم بيجن رئيس الوزراء الإسرائيلي للرئيس أنور السادات.

ثلاثة أشياء يمكن التوقف عندها في رواية كمال الطويل حول نشيد «والله زمان يا سلاحي» ،أولها الانغماس المباشر من هذه الكتيبة الفنية في الحدث دون أي حسابات، وعلينا أن نتخيل قيمة ذلك في الوقت الذي كان فيه أساطين السياسة من العهد البائد، يواصلون اجتماعاتهم السرية استعدادًا للعودة إلى الحكم بيقين منهم أن العدوان الثلاثي سوف ينجح في خلع عبد الناصر من الحكم والقضاء على ثورته.

لم تترك أم كلثوم نفسها لحسابات التأني والتروي فيما ستسفر عنه الأحداث، والقيمة الأصلية عندها في ذلك هي البلد والوطن، وليس شخص عبد الناصر، فالاعتداء كان على مصر وليس اعتداءً على عبد الناصر.

ثانيها، يقول الشاعر أحمد شفيق كامل: كانت أم كلثوم في كل الأحداث السياسية التي تمر بها مصر، لا تمل من الاتصال بكل الناس، تسألهم، تستفسر منهم، تبادر بالعمل، على هذه القاعدة كان اتصالها بكمال الطويل، وإبداع نشيد، «والله زمان يا سلاحي».

ثالثها، التلقائية الوطنية المدهشة من أم كلثوم في التعاطي مع قضايا الوطن خاصة إذا كانت قضية بحجم العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م، غير مبالية بأي مخاطر قد تحل عليها، فأي عظمة في تعبيرها لكمال الطويل في « بلكونة » منزلها: «شظية إيه، أنا نفسي أمسك طيارة، وأفعصها بصوابعي»، وأي عظمة، حين رفضت التسجيل في ستديو مصر، ورأت بعفويتها، ماذا سيكون حكم التاريخ لو فعلت ذلك، فقالت: «أموت في الإذاعة أحسن ما يقول حد: إن أم كلثوم هربت ».

انتهت الحرب، وحمل العدوان الثلاثي عصاه ورحل،ولم يكن الانتصار لمصر فحسب بل لكل شعوب العالم الثالث،غربت الشمس عن الإمبراطورية البريطانية التي لم تغب عنها عشرات الأعوام، التهبت مشاعر الثوار في كل مكان من كوبا إلى أفريقيا، وكانت آلة الإعلام المصري أثناء الحرب تمارس دورها لمقاومة مفاهيم الغرب الخاطئة بتصوير عبد الناصر على أنه هتلر جديد، وكذلك إضعاف الروح المعنوية لبقايا الاستعمار في مصر، واستخدم الإعلام في معركته موجة إذاعية عرفت فيما بعد بإذاعة أم كلثوم، وتكشف قصتها التي أحيطت بسرية تامة مدي تقدير عبد الناصر لأم كلثوم.

يروي عبد القادر حاتم وزير الإعلام الأسبق، والمسئول عن الآلة الإعلامية

لمصر أثناء مفاوضات الجلاء ثم العدوان الثلاثي على مصر، قصة هذه الإذاعة قائلًا:

ـ أنشأ الملك فاروق في سنواته الأخيرة ومع ازدياد الاضطرابات والقلاقل محطة إذاعية كانت عبارة عن عربة كبيرة، أي إذاعة متنقلة، وكان يستهدف بذلك استخدامها في الطوارئ حال حدوث أي اضطرابات تهدد الملكية، وظلت الإذاعة المتنقلة دون استخدام حتى قامت الثورة، وعرفنا بأمرها، وفكرنا في تحويلها إلى استديو، ولم يكن يعلم بأمر هذا الموضوع سوي عبد الناصر وزكريا محيي الدين، وأحمد باشا كامل (قريب صدقي باشا) وأخته جيهان، وأحمد كمال محمود، ومحمود عمر مدير جريدة الإيجبشيان، وأنا، ولما بدأت الثورة الدخول في مفاوضات الجلاء مع الإنجليز، رأي عبد الناصر أن المفاوضات لن تنجح إلا بممارسة أساليب ضغط قوية عليهم، على أن يتم ذلك في سرية وتكتم، وتمثلت هذه الأساليب في إشعال وتنشيط العمليات الفدائية في مدن القناة، وكذلك استخدام الإعلام.

يضيف حاتم: أسند عبد الناصر لي أمر توظيف هذه الإذاعة، واستثمارها كأداة إعلامية سرية ضاغطة على الإنجليز، وبدأ بثها الإذاعي دون أن يعلم أحد بمكانها، بعد نقلها إلى مكان ما في الصحراء، ووضعنا على خريطة البث الإذاعي برامج باللغة الإنجليزية تستهدف إضعاف الروح المعنوية لجنود الاحتلال، منها مثلا، تمثيلية تقوم فكرتها على وجود جندي بريطاني في الصحراء، دون أن يعرف سببًا لوجوده، في نفس الوقت يوجد جندي أمريكي تابع لحلف الأطلنطي في بريطانيا، ويتعرف هذا الجندي على زوجة نظيره الإنجليزي الموجود في صحراء مصر، ويقضي وقته معها، في إشارة إلى أن هذا الإنجليزي ترك بيته وأسرته لآخرين يعبثون به، دون أن يكون قادرًا على الدفاع عن البيت حيث المسافات الطويلة.

ويوضح حاتم أن الهدف من بث هذا النمط من البرامج كان إخماد الروح المعنوية للضباط والجنود الإنجليز بوصفهم احتلال، وإشعارهم أنهم يحاربون

لهدف غير شريف، والثمن الحقيقي الذي يتقاضاه هو ضياع أسرته، وفي سياق ترغيب هؤلاء الضباط والجنود لسماع الإذاعة كنا نبث موسيقي عالمية هادئة بين برنامج وآخر، ثم نقطع البث فجأة لإذاعة أخبار عن احتمالات انفجارات تحدث في بعض المعسكرات الإنجليزية، ويتم تحديدها بالاسم، مما يؤدي إلى اضطراب نفسي بالغ لجنود الحراسة عليها حتى لو لم يقع الانفجار.

أدت هذه السياسة الإعلامية إلى إزعاج بالغ ومتواصل للاحتلال وصل إلى درجة أن السفارة الإنجليزية اشتكت مر الشكوى لقيادة الثورة منها، في الوقت الذي أنكرت القيادة معرفتها بمكان، أو هوية الإذاعة، مثلما كانت تنكر معرفتها بالعمليات الفدائية الدائرة على خط القناة، واستمر الأمر على هذا النحو حتى عدوان ٥٦.

يضيف حاتم: بعد جلاء الإنجليز، وفشل العدوان الثلاثي، وكنت مديرًا لمكتب جمال عبد الناصر لشئون الصحافة والإعلام، تدارسنا أمر مصير هذه الإذاعة بعد أن أدت مهمتها بنجاح، وانتهي الوضع على أن نخصصها لأم كلثوم على أن يتم بث أغانيها عليها لمدة خمس ساعات يوميًا تبدأ من الساعة الخامسة مساء حتى العاشرة، وأذكر أن أم كلثوم سألتني أكثر من مرة عن حكايتها، ولم أقدم لها إجابة، نفس الأمر فعلته هي مع عبد الناصر، وكان يكتفي بابتسامة فقط، والحقيقة أنها كانت قلقة في البداية من هذه الخطوة خوفًا من إصابة الناس بالملل من كثرة أو دوام إذاعة أغانيها، وفي أكثر من مرة عبر لي عبد الناصر عن سعادته بالإذاعة؛ لأنها كما يقول نالت إعجاب الناس، وأصبح لها مستمعوها، ويقول حاتم: أذكر أيضًا أن عبد الوهاب غضب من هذه الخطوة، وكان يقول لي: «ما دام عملتم محطة باسم أم كلثوم، أنا عايز محطة باسمي، وكنت أنكر له معرفتي بأمرها».

ويضيف حاتم: «أخذنا موجة مختلفة لتشغيل إذاعة أم كلثوم عن الموجات التابعة لمنظمة الإذاعات العالمية، وهي المنظمة التي تنضوي تحتها كل إذاعات العالم».

الاعلامي أحمد سعيد يروي قصة مختلفة عن هذه الإذاعة قائلا: الحكاية بدأت بحدوته بسيطة جدا، وتطورت إلى إذاعة عليها تريد بث الإرسال الإذاعي ثم توقيع اتفاقيات دولية لقيام الإتحاد الدولي للإذاعات، ومهمته هندسية لتنظيم البث الإذاعي الفضائي، ومن يريد أن يحصل على حصته من الأثير يذهب لهذا الإتحاد للحصول على حاجته من الإرسال الإذاعي الداخلي والخارجي، على الموجات القصيرة، أو المتوسطة أو الطويلة، وتحديد الذبذبات المناسبة حتى لا يحدث تداخل مع بث إرسال إذاعات أخرى، لذلك عندما انتبه عبد الناصر لأهمية الإذاعة، كان مطلوبًا الحصول على أكبر حصة من الإتحاد الدولي للإذاعات، فحصلنا على موجات ولابدّ من تشغيلها خلال مدة معينة وتبدأ إرسالها، في نفس الوقت كانت المخابرات المصرية تريد محطة إرسال لتستخدمها بشفرتها مع أعوانها في السفارات المختلفة، ولكن كيف يمكن استخدام البث الإذاعي لهذا الغرض، وجاء اقتراح محمد أمين حماد مدير الإذاعة بتخصيص نصف إرسال الإذاعة المقترحة لإذاعة أغاني أم كلثوم، وبذلك أصبحت الإذاعة المطلوبة هي إذاعة أم كلثوم في الظاهر لتغطي على العملية الرئيسية.

يضيف سعيد : رغم أن الجهات الأمنية لم تعد بحاجة إليها لتحقيق أهدافها في ظل التقدم التكنولوجي الذي أتاح لها وسائل أخري أكثر تقدما، إلا أن الإذاعة أخذت شهرة أم كلثوم، حتى جاء عهد السادات وتغيرت خريطتها، فافتتحت بأم كلثوم، وختمت بها، وفي وسط الإرسال تذاع أغاني أخري لمطربين آخرين، وقيل: في هذا التعديل شائعات منها غضب السادات من مخاطبة أم كلثوم له «يا أبو الأنوار» بعد أن أصبح رئيسًا للجمهورية في حضور جيهان السادات.

رغم الاختلاف بين روايتي عبد القادر حاتم وأحمد سعيد حول أصل نشأة إذاعة أم كلثوم إلا أن قرار الإنشاء يبقي تتويجًا من عبد الناصر لها لما قدمته ،واعترافًا منه

بقيمتها الفنية، ليس هذا فحسب بل حرص الرجل على توفير الحماية الدائمة لها حتى فيما يتعلق بحياتها الشخصية، ويحكي الدكتور منصور فايز الطبيب الخاص لعبد الناصر ولأم كلثوم أيضًا في كتابه «مشواري مع عبد الناصر»:

«نتيجة الضغط المستمر لم يكن لدي عبد الناصر الوقت لهوايات يروح بها عن نفسه، ولكنه كان حريصًا على سماع السيدة أم كلثوم التي كان يقدرها، ويسألني دائمًا عن صحتها، وحين بدأت السيدة أم كلثوم تشعر ببعض التعب في إحدي المراحل طلب مني أن أقترح عليها أن تكتفي بأغنيتين في الحفلة الواحدة بدلًا من ثلاث، ولما عرضت عليها وافقت وألغت الوصلة الثالثة، وكنت قد طلبت منها ذلك من قبل، ولم تستجب لي».

عبرت العلاقة بين أم كلثوم وجمال عبد الناصر دائرة علاقة الفنان بالسلطة، تلك الدائرة التي تنكمش وتتمدد بفعل القانون الذي يحدد هذه العلاقة.. القانون الذي ينص في أحد بنوده على رضا السلطان، وخضوع الفنان، وفي بند آخر على غلق الدائرة على أهداف تجمع الطرفين، وكل منهما يعمل لأجلها بأدواته الخاصة، وانتقلت علاقة أم كلثوم بجمال عبد الناصر إلى دائرة إنسانية أرحب وأرقي وأوسع،كان في حجرة نوم عبد الناصر بمنزله بمنشية البكري قطعة موبيليا خشبية تضم تليفزيون، وراديو، وبيك آب، وريكوردو، واسطوانات موسيقي كلاسيكية، وشرائط مسجلة لحفلات أم كلثوم، وكانت أغانيها جسرًا بين قلبي عبد الناصر وزوجته السيدة تحية كاظم التي إرتبطت بعلاقة وثيقه بأم كلثوم، وبدأت تلك العلاقة بمكالمة تليفونية من أم كلثوم تلقتها منها شغالة في بيت عبد الناصر اسمها خضرة، فقالت لها أم كلثوم بخفة ظلها المشهورة: «يجعل سنتك خضره يا خضرة» ويقول الكاتب الصحفي عادل حمودة في حلقاته «الحب في زمن الحرب»، والذي كشف فيها عن مجموعة الخطابات الخاصة المتبادلة بين جمال عبد الناصر والسيدة

تحية أثناء حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، «بعد مكالمة خضرة جاءت أم كلثوم إلى البيت لتتوطد علاقتها الإنسانية والشخصية بتحية،و حرصت أن تحضر أعياد ميلاد بناتها وأولادها، لكنها لم تكن تغني فيها، وفي الإسكندرية كانت أم كلثوم كثيرًا ما تلغي حجز إقامتها في فندق سيسيل لتنزل في كابينة تحية في المعمورة، ومن جانبها كانت تحية حريصة على حضور حفلاتها، الخميس الأول من كل شهر.

كانت في البداية تغني في مسرح الأزبكية، ثم انتقلت إلى سينما قصر النيل، وفي مسرح الأزبكية كان أول بنوار مخصص للملك.. سواء حضر الحفل أو لم يحضر، وقد أصبح ذلك البنوار متاحًا للشخصيات السياسية المهمة فيما بعد، وكانت تحية تجلس فيه عادة عندما كانت تحضر حفلات أم كلثوم التي كانت تسألها عما تحب أن تسمع منها، وذات مرة كان جمال عبد الناصر بعيدا عنها في زيارة ليوغسلافيا فطلبت منها أغنية « عودت عيني على رؤياك »، ومرة أخري كان مسافرًا للاتحاد السوفيتي (روسيا والدول المجاورة)، فكانت الأغنية « إنما للصبر حدود يا حبيبي ».

ويروي الشاعر والكاتب الصحفي فاروق جويدة في مقال له بالأهرام (١٦ يناير ٢٠٠٠م): «قال لي رياض السنباطي يومًا: ذهبت إلى فيلا أم كلثوم لإجراء بروفات أحد أغانيها، وكانت تحترم مواعيدها إلى أبعد الحدود،وعندما دخلت الفيلا علمت أن أم كلثوم ما زالت نائمة،وسألت مديرة المنزل فقالت: إن سيدتي ظلت حتى طلوع الشمس بلا نوم، فسألها السنباطي، لماذا؟ أجابت: تشاجرت مع زوجها د.حسن الحفناوي ليلة أمس ، واتصلت بالرئيس عبد الناصر في الخامسة صباحًا، وأيقظته من النوم وجاء بنفسه إلى هنا، ولم يخرج إلا في السابعة صباحًا بعد أن تصالح الزوجان د. الحفناوي وأم كلثوم».

حميمية العلاقة بين الطرفين جعلت من عبد الناصر طرفًا فيما تردد عن زواجها بالكاتب الصحفي مصطفي أمين، وهي القصة التي فجرها الناقد والكاتب رجاء

النقاش وأثارت جدلا واسعا حين أعادت الحديث عنها الدكتورة رتيبة حفني في ندوة بمكتبة الإسكندرية في فبراير عام ٢٠٠٥ م، قال النقاش أنه علم بأمر الزواج من مصطفي أمين من أحد كبار المسؤولين في عصر عبد الناصر لم يأذن بذكر اسمه في حياته، وهو كمال الدين رفعت (خال زوجة النقاش) ،ويضيف النقاش: أن الضابط على إسماعيل زوج المذيعة المعروفة درية شرف الدين، كان يقوم بجرد مكتب مصطفي أمين عند تأميم مؤسسة أخبار اليوم عام ١٩٦١، فوقعت في يده أوراق خاصة بأمين كان من بينها عقد زواج رسمي وليس عرفيا، بين أمين وأم كلثوم، وخطابات بخط يدها إلى مصطفي أمين تبدؤها بقولها (زوجي العزيز)، ويضيف النقاش: أعطي على إسماعيل عقد الزواج إلى جمال عبد الناصر، وكان موجودا بالإسكندرية، وقدم إليه العقد، فأمسك به عبد الناصر، ونظر إليه، وابتسم دون أن يعلق بشيء ثم وضعه في جيبه، ومن يومها لم تظهر هذه الأوراق على الإطلاق، ولم يطلع عليها أحد.

ويقول النقاش متوقعًا: «لأن عبد الناصر كان يحب أم كلثوم ويحترمها ويعتبرها قيمة وطنية فإن عبد الناصر ربما يكون قد طوي هذا الموضوع نهائيًا من تفكيره، ولم يسمح بتسريبه إلى أحد، ما دامت أم كلثوم نفسها كانت لا تحب الإعلان عنه، ولعل هذه الأوراق الخاصة قد أعيدت إلى صاحبها فيما بعد أي: إلى مصطفي أمين».

ويعلل النقاش الذي أكد أنه لم يعرف المدة التي استغرقها هذا الزواج إخفاء أم كلثوم لهذا الزواج طالما كان شرعيًا، بأن مصطفي أمين كان يصغرها بحوالي ١٦ عامًا، وربما كان الفارق في العمر من بين الأسباب الرئيسية في ميل أم كلثوم إلى إخفاء هذا الزواج، كما أنها أرادت أن تكون لمصر كلها وللعرب جميعًا، ويضيف: أظن أن هذا السبب القوي كان كافيا ليجعل أم كلثوم تفضل أن يكون الزواج سريًا، كما أن مصطفي أمين كان يخوض معارك عنيفة خلقت له عداوات كثيرة قبل ثورة يوليو،

وبعدها وكانت أم كلثوم تحرص على أن تكون بعيدة عن كل هذه الصراعات.

النفي القاطع لهذه القصة يأتي من الدكتور ممدوح الدسوقي - ابن شقيقة أم كلثوم - ومن الكاتب الصحفي محمود عوض صديق الطرفين الذي تساءل: «إذا كان مصطفي أمين قد كتم سر زواجه من أم كلثوم في حياتها، فلماذا لم يعلنه بعد رحيلها؟، وكيف يكون زواجهما سريًا وهما على مستوي الأصدقاء لديهما صداقات بصحفيين مثل محمد التابعي والصحفي اللبناني سعيد فريحة، وغيرهما، وكل هؤلاء لا يمكن اخفاء أمر بهذا الحجم على علمهم ؟»، ويشير السيناريست محفوظ عبدالرحمن مؤلف مسلسل أم كلثوم إلى أنه وأثناء تصديه لكتابة المسلسل صادفه ما يقرب من ١٤ شائعة عن زواج أم كلثوم، من بينها واحدة وهي في قريتها وقبل انتقالها إلى القاهرة، بالإضافة إلى شائعة زواجها من مصطفي أمين لكن لم يكن هناك دليل عليها ،ويشير محفوظ إلى أن مصطفي أمين كتب عنها رواية بعنوان : «الآنسة هيام» نشرت بعد خروجه من السجن، وصفها فيها بأقبح الأوصاف.

ورغم هذا النفي إلا أن مجلة المصور في عدد ٤ مايو عام ٢٠٠٥م ذهبت في تحقيق موسع لها حول هذه القضية أجراه الصحفي محمد دياب إلى الاعتقاد بصحته وجاء في التحقيق: «تعرفت ثومة إلى مصطفي أمين في أواسط الثلاثينات (القرن العشرين) لكن علاقتهما لم تتوطد إلا في منتصف الأربعينات، ولا يعقل أن تكون أم كلثوم قد استأذنت شقيقها في السماح لها بالزواج من مصطفي أمين دون أن ترجع في ذلك إلى والدها، إلا إذا كان والدها كان قد توفي، والوالد رحل عام ١٩٣٦، ولا يعقل أن تكون قد تزوجته في الفترة من عام ١٩٣٦م، وحتى ١٩٤٦م أو ١٩٤٧م، لسبب بسيط هو أنها تزوجت من الموسيقار محمود الشريف العام ١٩٤٦م، كما أنها ارتبطت لسنوات قبل زواجها من محمود الشريف بقصة حب مع شريف باشا صبري (خال الملك فاروق)، فليس من المنطق أن تكون أم كلثوم أحبت وتزوجت

وهي على ذمة مصطفي أمين، كما لا يعقل أن تكون قد طلقت في عام ١٩٤٦ لتتزوج من فورها بالشريف، إذن المنطق يحتم أن تكون أم كلثوم قد تزوجت مصطفي أمين في الفترة التي شهدت تصاعدا لعلاقتهما سويا وهي منتصف الأربعينات، وهي الفترة التي ساعدته فيها بأموالها على تأسيس جريدة «أخبار اليوم»، وسعي لها فيها للحصول على وسام الكمال من الملك فاروق، وساندها في أزمتها الإعلامية عند زواجها وانفصالها من محمود الشريف، والمنطق يقضي أن يكون هذا الزواج قد وقع بالفعل في الفترة من عام ١٩٤٧، إلى مطلع الخمسينات لأن أم كلثوم ارتبطت بالزواج في العام ١٩٥٣ من الدكتور حسن الحفناوي، وهو الزواج الذي استمر حتى رحيلها، وعلي الأرجح تم ذلك في الفترة التي كان يتم فيها التحضير لتصوير فيلم «فاطمة» الذي كتب قصته مصطفي أمين لأم كلثوم في العام ١٩٤٧، وهو ما يعني أن الزواج لم يستمر سوي حوالي ٥ أعوام على الأكثر ففي مطلع الخمسينات وتحديدا عامي ١٩٥١ و١٩٥٣، سافرت أم كلثوم في رحلات علاجية إلى الولايات المتحدة طالت لأشهر لمعالجتها من الغدة الدرقية، وكان أنور السادات أحد ضباط مجلس قيادة ثورة يوليو في وداعها بالمطار كمندوب رسمي عن القيادة الجديدة ويقال: أنه عندما اشتد عليها المرض نصحها الأطباء بالزواج لأنه أحد العوامل التي ستساعدها على الشفاء.